



فيس بوك بلا سياسة

التحول الهيكلي في المجال العام الافتراضي



مركز هردو

لدعم التعبير الرقمي

HRDO CENTER

To Support the Digital Expression

فيس بوك بلا سياسة

التحول الهيكلية في المجال العام الافتراضي

مركز هردو لدعم التعبير الرقمي
To Support the Digital Expression

Cairo - 2018

فيس بوك بلا سياسة

التحول الهيكلي في المجال العام الافتراضي



مركز هردو لدعم التعبير الرقمي
To Support the Digital Expression

cairo - 2018

www.hrdoegypt.org
info@hrdoegypt.org



مركز هردو مع حق الجمهور في المعرفة وتداول المعلومات
إصدارات المركز منشور [برخصة المشاع الإبداعي المنسوب للمصدر - لغير الأغراض الربحية، الإصدار ٣.٠](#)
[غير الموطنة](#)

المحتويات

٥	مقدمة
٧	ملاحظات حول المنهجية
٩	تعريف المجال العام
١٠	ما يمثله المجال العام الافتراضي
١٣	المجال العام والمشاركة السياسية الافتراضية
١٤	جت في السوستة "بدون سياسة" جروب للرجال فقط
١٨	حالات أخرى
١٩	خاتمة
٢٠	مراجع

مقدمة

منذ بدأ المصريون ينشطون علي وسائل التواصل الاجتماعي قبيل ثورة يناير وحتى بعدها، كان الفيس بوك هو مجال عام سياسي بامتياز. عبر الفيس بوك بشكل ما عن النزعات التي نشأت بين شباب الطبقة الوسطي المصرية منذ بداية الحقبة النيوليبرالية للخروج من عباءة الدولة، للخروج من سيطرة الدولة علي مساحات إنتاج الخطاب السياسي التقليدي في مصر. بدأت الدعوة ليناير علي الفيس بوك وانتهت احلام يناير أيضا علي الفيس بوك. لعب الفيس بوك دورا مهما في الحشد والتشبيك بين الفاعلين السياسيين المستقلين الذين نشأوا من رحم يناير. ولعب دور أكبر في الحشد للحملات الرقمية حول الحريات العامة، وطرح خطابات أخلاقية لم يعرفها المجتمع المصري.

لعب الفيس بوك دور المنصة البديلة للنقاش في كل ما يتعلق بالسياسة والاجتماع في هذا البلد، بينما لعبت السياسات القمعية للنظام السياسي المصري الدور الأكبر في خلق مساحة الحرية التي استخدمتها القوى السياسية المختلفة للتعبير عن المطالب الشعبية أو لعب أي دور سياسي، فخلق المجال العام بقانون التظاهر عجل من سرعة لجوء النشطاء السياسيين إلى العالم الافتراضي واعتباره منصة التعبير الوحيدة التي ما زال بإمكان النشطاء التعبير من خلالها. ويرجع أيضا اختزال النشطاء لنشاطهم علي فيسبوك ومواقع التواصل الاجتماعي إلى قدرتها في التأثير في قاعدة جماهيرية أكبر، ووجود جو ديمقراطي في نقاش العديد من القضايا وتوفير مناخ لتطوير الأفكار والأهداف، وبالتالي توحيد الأهداف والمطالب.

تتسم التحركات الاحتجاجية الافتراضية علي مواقع التواصل الاجتماعي، بمجموعة من السمات فهي حركات وأنشطة غير منظمة ولا يوجد لها هيكل إداري أو تنسيقي معين، هادفة إلى الدعم والمناصرة، ومنبر للاحتجاج علي السياسات الاقتصادية والسياسية والاجتماعية، مجموعات مرنة ومتجددة من حيث الأهداف التي تسعى إليها فتظهر في معارضة سياسات معينة ثم تختفي ثم تعود بشكل آخر، تتسم بقاعدة جماهيرية افتراضية مناصرة كبيرة ومتغيرة مما لا يسمح بحدوث انشقاقات داخلية، كما أنها تتمتع بقدرتها علي التوعية والتثقيف بشكل أكبر من الحركات التقليدية لما توفره من تداول للمعلومات بشكل سريع.

هنا في هذه الورقة التحليلية نركز علي الفيسبوك ليس فقط لأنه المنصة الأكبر عدديا التي يستخدمها المصريون بل لأنه ايضا وبحسب باحثين كثر لعب دورا في الحشد للثورة والحشد للسياسة نفسه فيما تلي الثورة.

تقدم الورقة مقارنة تحليلية تعتمد على إفتراض كيفي وليس كمي عن التحول في المجال العام الإفتراضي (الفيسبوك) وليس المقصود هنا بالافتراضي أي أنه لا يمس الواقع بل أنه فضاء غير مادي وملموس فقط، ولا يتضمن التواصل الجسدي بين الفاعلين فيه.

تحاول الورقة الوقوف علي العلاقة ما بين إغلاق المجال العام السياسي ، وسبل التعبير السياسي التقليدية ومنها مثلا التظاهر او الانتخابات ونزوع الأشخاص للمساحات غير المسيسة على التواصل الاجتماعي أو ما يمكن نسمية المساحة الأمنة. ومن ثم تنطلق الورقة من إفتراض نظري لا يمكن دعمة بالأرقام لكن هذا لا يعني أنه غير صحيح . تفترض الورقة أن الفيس بوك بدأ كفضاء مسيسي بشكل كبير خاصة فى المراحل الأولى للثورة المصرية والتي كان فيها الفيسبوك شبة حصري للنشطاء السياسيين والفاعلين بشكل ما أو بأخر فى المجال العام السياسي المصري، ومن ثم عندما تراجعت السياسة

ملاحظات حول المنهجية

في البداية علينا التأكيد على صعوبة الوصول لأرقام تتعلق بعدد الجروبات على الفيسبوك الغير سياسية والسياسية ومقارنتها في أي لحظة، فمثل ذلك المجهود الإحصائي يتطلب جهد أكبر من إمكانيات الباحث، ومن ثم فمقاربة المنهج الوصفي ودراسة الحالة المتعلقة بالجروب المذكور تبدو المنهجية الأفضل من أجل الوصول لتحليل أكثر موضوعية حول التحول المقصود في الورقة

تستخدم الورقة عدة مفاهيم نظرية مستمدة بالأساس من أفكار مدرسة فرانكفورت عن المجال العام ومفهوم الخطاب السياسي والمنتجين المحتملين له عند ميشيل فوكو ، تحاول الورقة بشكل ما استقراء التحول عبر متابعة أحد أهم الجروبات الغير سياسية علي الفيسبوك وهو جروب " جت في السوستة " والذي أنشأ في ٢٠١٦ ويضم الآن أكثر من ٢,٥ مليون عضو ، جميعهم من الرجال ولا توجد بينهم اي أشياء مشتركة سوي كونهم رجال ، ويتوزع أعضاء الجروب على مساحات جغرافية كبيرة ومنهم من هو خارج مصر بالأساس . تثبت الورقة مفهوم المجال العام بشكل عام ، ومن ثم فإنها تطرح فكرة وجود مجالات عامة وليس مجال عام واحد لكن هنا وفي التحليل نركز على التحول الذي طرأ على المجال العام السياسي .

في هذه الورقة نسعي أيضا لمسائلة الاقتناع العام لدى العديد من المحللين، سواء داخل أو خارج المنطقة العربية، بأن وسائل التواصل الاجتماعي هي التي لعبت الدور الأبرز، والأكثر أهمية في حشد وتعبئة الجماهير، خاصة من أبناء الطبقة الوسطى المتعلمين ممن لديهم قدرة على النفاذ إلى العالم الافتراضي، في الخروج للتظاهر في أثناء ما سموه «الربيع العربي». وعلى الرغم من رواج تلك النظرية لدى عدد كبير من المحللين، بل والنشطاء في المنطقة أيضا، فإن تنفيذها والرد عليها ليس موضوع هذه الورقة. ففي حقيقة الأمر، فما يهمننا هنا هو الإشارة إلى الأهمية النسبية التي اكتسبتها وسائل التواصل الاجتماعي في الحياة اليومية للمصريين- خاصة من الطبقة الوسطى- منذ ثورة يناير ٢٠١١. لا تعني المسائلة هنا رفض التحليل بالمجمل بل العمل علي رتق أوجه القصور فيه فيما يتعلق بمثلث العلاقة بين السياسي، الواقعي والافتراضي في حالة وسائل التواصل الاجتماعي بشكل عام .

أيضا من المهم في تلك الحالة المرور سريعا على علاقة الحركات الاجتماعية بوسائل التواصل الاجتماعي وكيف إستخدمت تلك الحركات مواقع مثل الفيسبوك في الحشد، ورغم أن الورقة تهتم أكثر برصد التحول إلا أنه من المهم أن نفهم في البداية ميكانزمات الحشد السياسي التي استخدمت على تلك المنصات ولماذا لم تعد تجدي الآن في ظل الظرف السياسي الأكثر تأزما في تاريخ مصر الحديث. تنطلق معظم أدبيات رصد التحول الديمقراطي القرن الواحد والعشرين من بديهية دور الحركات الاجتماعية وقدرتها علي

التشبيك وإنشاء قواعد ثابتة ومتحركة لخطاباتها السياسي، تتسم القدرة على التشبيك في العصر الرقمي بديناميكة شديدة خاصة في ظل سهولة التواصل وسيولة التواصل أيضا التي أنتجت وسائل التواصل الاجتماعي ، ومن ثم تتحرك الورقة في تلك المساحات وتحاول تقديم مقارنة تحليلية ندعي أنها جديدة لهذا التحول الهيكلي الذي شهده المجال العام الافتراضي في مصر .

تعريف المجال العام

يقصد هابرماس بالمجال العام في المقام الأول مجالاً من مجالات حياتنا الاجتماعية يتشكل فيه شيء يقترب ممّا نسميه بالرأي العام. ودخول هذا المجال يكون متاحاً ومضموناً بالنسبة إلى المواطنين كافة. وتبرز اللحظة من المجال العام مع كلّ نقاش ينعقد بين أفرادٍ خصوصيين حول قضايا تعنيهم أو تؤرّقهم بوصفهم كياناً عمومياً. فهم في هذا الوضع (أي بوصفهم كياناً عمومياً) لا يتصرفون تصرف رجال أعمال أو أصحاب مهن يتداولون في أمور أعمالهم أو مهنتهم الخاصة، أو تصرف أعضاء ينتمون إلى نظام الدولة الرسمي حيث يكونون خاضعين للقيود القانونية التي تفرضها بيروقراطية الدولة. لا يتصرف المواطنون بوصفهم كياناً عمومياً إلا عندما يتجهون دون تقييد إلى الخوض في قضايا المصلحة العامة. والمقصود بعدم التقييد هنا أن حرية التجمع والمشاركة والتعبير عن الآراء ونشرها تكون متاحة ومضمونة.

وبالنظر في تعريف هابرماس الشامل للمجال العام، نجد أنّ السمة الأبرز له هو كونه منفصلاً عن الدولة، إنّهُ يسكن مساحةً وسطى ما بين المجتمع والدولة، كما إنه فضاء غير مادي، وهو ما يعطي كلمة الافتراضية التي تعطي لمواقع التواصل الاجتماعي تعريفاً آخر، ويلعب دوراً هاماً في إكساب المشروعات والسلطة التنفيذية، فرأي المجال العام تقييمي لها وعليها أن تنصت له. وهذا على سبيل المثال ما يجعل مراكز الأبحاث تهتم كثيراً بالرأي العام.

أما تشالز تايلر أحد أهم المنظرين لما يسمي بنظرية الحركات الاجتماعية فيعرف المجال العام علي أنه " فضاء مشترك، يلتقي فيه أفراد المجتمع عبر جملة من الوسائط وذلك لمناقشة مسائل ذات اهتمام مشترك، والتوصل من خلال ذلك إلى تشكيل تفكير مشترك في هذه المسائل، ويعتبر تايلر المجال العام سمة مركزية في المجتمع الحديث.

ولذلك، ومن خلال هذا التعريف، يعني المجال العام فرضية مسبقة حول المشترك، ولذلك فهو من «المتخيلات الحديثة»؛ أي من جملة التخيلات التي يتصور من خلالها المواطنون كونهم مواطنين، كونهم ذواتاً تعيش في فضاء سياسي ما، وعليها أن تشترك في الفضاء السياسي الذي يعني أنهم منتمون له. وفي هذا افتراض مسبق بعقلانية من يدخلون إلى هذا الفضاء، وبأهليتهم في حيازة مضامين مبررة على نحو عمومي.

ولذلك، فإن المجال العام هو فضاء عقلائي (Rational) بالمقام الأول، فضاء عقلائي يحمل معنيين، الأول باعتبار أنّه يستبعد غير العقلانيين، كالمجانين مثلاً والأطفال والنساء حتى عهد قريب من جهة، وعقلائي باعتبار ما يُناقش فيه من حيث دلالاته المعيارية. فإذا كانت المسائل التي تناقش فيه، فإنّه لا بد لها من (إعادة صياغة)، إذا صح تعبيراً، أي من

إعادة استنطاقها ضمن لغة عمومية عقلانية، كما يشير هابرماس. فبالاعتماد على كانط، ومن ثم على جون رولز الذي أسس «عدالته» على الكانطية، يشير هابرماس إلى أن «المصطلح الكانطي عن 'الاستخدام العمومي للعقل' في المجال العام ذو جاذبية؛ إنه يخدم بوصفه طريقة تساعد على تفسير توقعات أخلاقية معينة بشأن المواطنة». وبما أن المجال العام فضاء عقلائي بالمعنيين اللذين ذكرتهما، فهو في بنيته استبعادي بشكل أساسي، وذلك لما يركز عليه من عقلانية متعالية تعيد صياغة الذوات التي تدخله، وهو على عكس الشائع بأن الناس هم الذين يصوغون هذا المجال ويؤطرونه، فإنه ليس كذلك لأن له بنية متعالية مسبقة.

يُمثل مفهوم المجال العام (Public sphere) مفهوما مركزيا حينما نتناول المجتمع الحديث أي أن لمجال العام سمة مركزية في المجتمع الحديث، إلى حد يستلزم تزويره عندما يراد قمعه أو التلاعب به كما ينهنا تشالز تايلر في كتابه المتخيلات الاجتماعية الحديثة، كما في كتاب هابرماس الأساسي، أعني كتاب (التحول البنيوي للمجال العام: تحقيق في مقولة مجتمع برجوازي)، في هذا المنحى هو المرتكز الرئيس -سواء لدى نقاده أو موافقيه- للنقاش حول المجال العام وظهوره. وقد حدّد هابرماس ظهور المجال العام بمجيء القرن الثامن عشر، حيث تطور الرأي العام في أوروبا خلال القرن الثامن عشر.

وفي ضوء الخلط الحاصل بين أشكال التجمعات العمومية التي يتشارك فيها الجمهور تحت مظلة هم واحد، سواء أكان دينيا أو اجتماعيا أو سياسيا، وبالاعتماد على تشارلز تايلر، يمكننا أن نميز بين نمطين من تجمع الناس في الفضاء العمومي. فصحيح أن الناس يشتركون ويشعرون بلحمة واحدة وهم يؤدون، على سبيل المثال، عبادة معينة، وهم مجتمعون في «موضع» معين. بيد أن هذا النوع من الفضاء العام «الذي ينشأ على نحو حدسي» بتعبير تايلر، لا يفي بالمعنى الحديث للمجال العام الذي يناقشه هابرماس وتايلر وغيرهم من المعنيين بالشأن الاجتماعي الحديث. ومن ثم، يميز تايلر هذا النوع من التشارك المجتمعي حول شعيرة، مبارزة، أو غيرهما، بأنه «فضاء عام موضعي». وفهم هذا النوع حاسم، ههنا، في تمييز المجال العام في صيغته الاجتماعية الحديثة، بدءاً من القرن الثامن عشر.

أيضا يعتبر تشالز تايلر المجال العام هو مجال خارج السياسة. ويوضح تايلر هذه السمة بقوله: «ينطوي كون المجال العام خارج السياسة على وجه من أوجه جدته؛ ففيه يجب أن يُنظر إلى أفراد المجتمع السياسي جميعاً (أو أفراده الأكفيا المتنورين على أقل تقدير) باعتبارهم يشكّلون مجتمعاً خارج الدولة». ومن ثم، فهو فضاء بين المجتمع والدولة، بنية وسيطة بين الاثنين. ويبقى هذا التحديد مهماً على المستوى المفاهيمي والتحديدي. وهذه السمة نلاحظها لدى هابرماس بشكل كبير في تعريفه للمجال العام.

ما يمثله المجال العام الافتراضي

ساهمت تكنولوجيا الاتصال والمعلومات في إعادة إحياء المجال العام لما تمتلكه من إمكانيات تكنولوجية عالية خلقت مجالاً للمناقشة والحوار ذات الطابع السياسي ومكنت الأفراد من الوصول إليها، والتكيف مع الثقافة السياسية السائدة في ظل الأنماط الرأسمالية العالمية وتؤكد نظرية المجال العام على أن وسائل الإعلام الإلكترونية وبصفة خاصة شبكة الإنترنت تخلق حالة من الجدل بين الجمهور؛ تُؤثر على الحكومات والجمهير والنخب، ومنذ انتشار الإنترنت والبعض يتحدث عن الديمقراطية الإلكترونية (electronic democracy)، والمجال العام الإلكتروني (Electronic Public sphere)، فالديمقراطية الإلكترونية تعنى استخدام وسائل الاتصال التكنولوجية المتقدمة في تدعيم العملية الديمقراطية، وأحيانا ما تُستخدم عبارات أخرى لوصف الديمقراطية الإلكترونية مثل "الديمقراطية الرقمية (Digital Democracy) " أو "التكنوديمقراطية " (Technodemocracy)، وما زالت الديمقراطية الإلكترونية محل بحث ونقاش بين الحكومات والجماعات المدنية حول العالم.

المجال العام الافتراضي هو مجال مُشترك مفتوح لجميع الأفراد في المجتمع، يُتيح لكل فرد الوصول إليه للمشاركة والتفاعل مع الآخرين، أيضا يمكن تعريفه على أنه: وسيط لفضاء استطرادي جديد يضم الأفراد المستبعدة والمهمشين الذين يقدمون خطابات مفتوحة ويعرضون قضايا سياسية تهيمن عليها أجندة النقاش والحوار، بحيث يتم الحكم على الأفكار طبقاً لجدارتها وليس عبر مكانة الشخص المُتحدث.

أو حتى أنه عبارة عن عملية تفاعلية تتم بين المواطنين خلال المجالات الخطابية عبر استخدام وسائل الإعلام الجديدة New Media، وهُنَا أشار إلى أن هناك نوعين من التفاعل: الأول: يتم من خلال تفاعل المواطنين مع وسائل الإعلام الجديدة عبر العملية التواصلية، والثاني: يتم من خلال تفاعل المواطنين مع بعضهم البعض، بحيث يمكن أن يشتمل على محادثات بين شخصين أو أكثر، كما أوضح أن المجال العام الافتراضي هو مجال مترامي الاطراف فالطبيعة التفاعلية للإتصال الإلكتروني والبناء اللامركزي للمجال الافتراضي وتزايد إمكانية الوصول إليه؛ دفع العلماء في العديد من التخصصات للإعلان عن عصر جديد من الاتصال السياسي، وهنا حذر البعض من سيطرت الدولة وأصحاب المصالح الخاصة على المجال العام الافتراضي لأنه سيؤثر بالسلب على الخطاب النقدي والتواصل العقلاني ويحد من تأثيره.

ومع بروز شبكات التواصل الاجتماعي والتي أصبحت وسيلة فعالة لمنظمات المجتمع المدني، بما تنطوي عليه من تعدد للجهات الفاعلة ما بين مواطنين عاديين ونشطاء سياسيين ومنظمات غير حكومية، بالإضافة إلى المسوقين والمبرمجين إلى جانب الحكومات الإلكترونية، حيث تبنت هذه المنظمات سبلاً للحوار والمناقشة عبر الفضاء الإلكتروني (Cyber space)، وإلى جانب هذه المناقشات الافتراضية، كان هناك مستوى

واسع من النشر يعمل من خلاله الأفراد وأعضاء المنظمات على تسهيل المداولات العامة، حيث تقوم الآلاف من الجماعات المدنية النشطة لتداول قضية ما، وإثارة الجدل حولها، على المستوى المحلي، والقومي، والعالمى، ويمكن ملاحظة ذلك فى كيفية توظيف المعلومات إلى جانب المناقشات الافتراضية التى أثارت جدلاً واسعاً واحتجاجات على العولمة الرأسمالية

وأدى استخدام مواقع التواصل الاجتماعى (الفييس بوك) فى المناقشات العامة وخاصة فى المجال السياسى، إلى تعزيز الحريات، من خلال حرية الخطاب الذى يقدمه المشاركون عبر هذه الأدوات التى تعمل على طرح جميع الآراء دون قيود ، كما مكنت المستخدمين من الحصول على المعلومات بسهولة وفى أقل وقت ممكن، كما مكنتهم أيضاً من تبادل الأفكار ومناقشتها وتكوين ما يُعرف “بالرأى العام الإلكتروني”، وعملت على تعزيز الديمقراطية، إلى جانب صعود الحركات السياسية عبر تجميع ملايين البشر خلالها، كما لعبت دوراً هاماً فى إبراز الحركات الناشئة، وتمكين مشاركة المرأة فى الحياة العامة والسياسية، وفى العالم العربى كان غالبية قادة الرأى من الذكور، لذا كان من المتوقع عدم مشاركة المرأة فى الخطاب السياسى، ومع ذلك فقد ساهمت الشبكات الاجتماعية فى توفير فرص متساوية للمرأة للتعبير عن آرائها بحرية، كما عملت على تمكين المدونين ونشطاء الفييس بوك الذين يشاركون فى التفاعلات والأنشطة السياسية والاجتماعية الافتراضية من نشر مبادئهم للعديد من الأفراد، بما يساعد فى إمكانية حدوث تغييرات سياسية أو اجتماعية عبر تنسيق الأنشطة المتبادلة وكسب اهتمام المستخدمين الآخرين

المجال العام والمشاركة السياسية الافتراضية

تميزت المشاركة السياسية عبر شبكات التواصل الاجتماعي بالفعالية عبر محادثات سياسية افتراضية، أفرزت نوع جديد من التداول الديمقراطي قابل للتطبيق، هذا النوع من الديمقراطية سهل عملية التشاور العقلاني عبر المجال العام الافتراضي، وهنا يجدر الإشارة إلى أن مصطلح المجال العام والمشاركة السياسية الافتراضية يتعلق بمفهوم "الديمقراطية الإلكترونية (E-Democracy)"، التي نمت مع تطور شبكات التواصل الاجتماعي، حيث أنها سمحت للمواطنين الاختيار بحرية بين العديد من البدائل التي يفضلونها، كما عززت من الحوار الديمقراطي، وفتحت طريق جديد للمواطنين للمشاركة في القضايا العامة وزادت من الوعي السياسي لديهم.

وعمل المجال العام الافتراضي على تنشيط المجتمع المدني من خلال زيادة إمكانية الوصول للمعلومات السياسية، وتيسير عملية النقاش السياسي فتطور الشبكات الاجتماعية ساهم في خلق بديلاً ملائماً للمشاركة والانخراط في التفاعلات والأنشطة سياسية حيث أوضحت العديد من الدراسات الخاصة بالإنترنت، أن المشاركة السياسية عبر شبكات التواصل الاجتماعي (SNS) لها تأثير إيجابي على المشاركة السياسية الفعلية.

يملك موقع الفيس بوك تحديداً إمكانية لتكوين مجال عام؛ فهو يُتيح ساحة مستقلة للنقاش، والتي توجد على الحائط (walls) فضلاً عن المجموعات (Groups)، والأحداث (Events)، حيث يتجمع أعضاء الفيس بوك للتداول والنقاش حول مختلف القضايا، وهو ما يقود في النهاية إلى تشكيل رأي عام يمكن أن يلعب دوراً غير مباشر في عملية صنع القرار؛ نتيجة لعدم وجود حراس بوابة، فهو ليس مملوكاً للدولة.

هناك عدة اعتبارات لتوافد الحشود على الشبكات الاجتماعية عبر الإنترنت، يتمثل الاعتبار الأول في الحرية؛ حيث فتح المجال العام الافتراضي الحرية أمام تشكل الحركات الاجتماعية التي كانت تعاني من تأزم الواقع، فإنحسار محيط الحرية في الواقع جعل من الفضاء المعلوماتي ملاذاً لها، خاصة في ظل سهولة التفاعل مع الشبكات وحرية الانضمام ومرونة التحرك، أما الاعتبار الثاني يتمثل في مشاركة الاهتمامات، وتعد هذه هي الفرضية الأولى لتشكيل المجتمع الافتراضي، حيث يقوم هذا المجتمع بالأساس على فكرة التجانس في الاهتمامات، فلقد سمح مجال الإنترنت بتشكيل الحركات الاجتماعية على مختلف أشكالها. فإذا كان المجال العام الواقعي يعاني من الانحسار، فإن الإنترنت قد أعاد تشكل المجال العام ولكن على نحو افتراضي، ويتمثل العنصر الثالث في التفاعلية؛ فلقد فتح الإنترنت مجالاً للتفاعل بين الحركات الاجتماعية، خاصة أن تفاعلاته لا ترتبط بقيود المكان ولا السلطة ولا الزمن.

وقد استغلّت بعض الحركات السياسية كحركة شباب 6 أبريل، انفتاح هذا المجال العام الجديد في النزول إلى الواقع للمطالبة بالحقوق والإصلاحات، حيث أصبح الإنترنت مجالاً

للممارسة السياسية في ظل القيود المفروضة عليها في الواقع، وهناك العديد من القضايا السياسية التي أضحت مجالاً للحوار عبر سياقات المجال العام الافتراضي، ولعل أبرزها مقتل الشاب (خالد سعيد) الذي أخذت قضيته مساحة كبيرة عبر تفاعلات شبكة الفيسبوك بين الشباب المصري، ولعل نقطة انفجار الثورة الحقيقية انطلقت من تأسيس صفحة أسسها أحد النشطاء عبر شبكة الفيس بوك بعنوان (كُلنا خالد سعيد) دعا من خلال هذه الصفحة إلى تنظيم تظاهرة في ٢٥ يناير، ولعل هذه الصفحة حشدت مجموعة من الشباب، وتم الاتفاق على النزول من المجتمع الافتراضي إلى المجتمع الواقعي للمطالبة بالحقوق المنقوصة والإصلاحات الاجتماعية.

ويمكن الحديث هنا عن ثلاثة عوامل أساسية لجهة تقييم أثر الحركات الاجتماعية والسياسية: أولها ما يتصل بالتنظيم؛ وثانيها بالقدرة على طرح بدائل ممكنة التحصيل؛ وثالثها بديمومة أثر هذه البدائل. الثابت أن عدداً كبيراً من الحركات المذكورة وصل إلى نتائج ملموسة، بمعزل عن مدى تطور البنية التحتية التقنية أو تأخرها، وبمعزل عن تشابه الأنظمة والبيئات المعنية أو تنافرها. لكن النتائج كانت، في معظم الحالات، آنية ومباشرة، برغم ضخامتها أحياناً. وقد بدت هناك حاجة عموماً إلى تجاوز لحظة الحراك، لا الرقمي فحسب، بل ما ينجم عنه من فعل ملموس على الأرض، إلى شكل من أشكال التنظيم ذات البنى والآليات القادرة على حفظ الأثر وتجذيره (ثمة استثناءات هنا، كحالة إسبانيا مثلاً، التي وُلد من رحمها حزب "بوديموس" اليساري وخاض بقيادة زعيمه الشاب بابلو إغليسياس، أحد رموز حراك ٢٠١١، انتخابات ناجحة قارع فيها الأحزاب التقليدية وثبتت نفسه في المعادلة السياسية للبلاد). لا يعني ذلك بالضرورة أن مبدأ "القيادة الناعمة" الذي يمكن لحظه في "الحراك الرقمي" لا يصلح، ولا أن الحاجة إلى قائد أو رمز ملهم أمر لا غنى عنه، إذ إن القيادة التنظيمية يفترض أن تكون مؤسسية أصلاً، فيما الحاجة إلى بروز أفراد أمر يرتبط بظروف كل حالة على حدة عموماً. ويمكن القول إن معظم "الحركات الرقمية"، بشكلها الماضي والحاضر، تشبه الفضاء الرقمي نفسه لجهة عدم ثباتها، فهي بنت اللحظة، وهي في حالة سيولة مستمرة. كما أنها، كظواهر، تنحو باتجاه التذرر والفردانية individualism في ما يخص التنظيم، وتولي الشكل والجوانب التقنية (البصرية وغيرها) أولوية على حساب المضمون.

جت في السوستة " بدون سياسة " جروب للرجال فقط

بدأ الجروب في تلقي الانتباه في عندما بدأ الرجال في التعامل معه علي أنه مساحة خصوصية، بعيدا عن ما يسمونه " دوشة الستات "، تخطي عدد الأعضاء الآن ٢,٥ مليون عضو، بعد أكثر من سنتين على تأسيس الجروب. ومن الملاحظ إذا مررت على صفحة الجروب، ولو حتى بالقراءة السريعة، ستلفت نظرك مجموعة أخرى من الأمور البسيطة، ولكن لها دلالة خاصة على التنوع الشديد بين الأعضاء، فمن الممكن أن تلمح صورة من تقرير معمل تحاليل طبية، يستفسر صاحبها عن محتواها، فيرد عليه مجموعة من الأطباء "السوستية"، ويوجهوه بالشكل المناسب.

وقد تجد أيضاً واحداً يطلب عمل، فيجيبه رجال أعمال وأصحاب محال تجارية على الفور ويوفرون فرصة عمل له، كما ستصادف أطباء يعرضون خدماتهم بالمجان، وصيديات تعرض أدوية بالمجان، بالإضافة إلى تخفيضات كبيرة جداً على سلع ومنتجات، خاصة بأعضاء جروب "جت في السوستة" فقط. من المواقف الطريفة، التي رواها أحد أعضاء المجموعة، أنه صادف إحدى اللجان المرورية على الطريق، وكان يمسك هاتفه المحمول في يده، وتظهر على شاشته الصورة الرئيسية لجروب "جت في السوستة"، وعندما لمحها الضابط خاطبه بلفظة "السوستي"، وعامله بشكل مختلف، ما أكد أن الضابط بدوره عضو في المجموعة.

بين الحين والآخر، يمسك أعضاء المجموعة بفتاة أو سيدة تم ضمها إلى الجروب في غفلة من "الأدمن"، وهنا يكون التصرف الفوري هو الطرد من المجموعة، بالإضافة إلى إجراء عقابي ضد من أضافها، سواء بتجميد العضوية لفترة أو الحظر من النشر والتعليق، وتصل العقوبة إلى حد الطرد من الجروب في حالة تسريب ما يتم نشره للخارج.

في احد البروستات اقترح أحد أعضاء المجموعة، على أعضاء الجروب، الذين تجاوز تقسيم أنفسهم بشكل جغرافي، بحيث يتم توفير عدد كبير في كل محافظة، تكون مهمتهم التبرع بالدم للمحتاجين منهم، كنوع من مواجهة ما يسمى "مافيا الدم"، أي التجارة غير المشروعة في الدم من قبل بعض الخارجيين عن القانون.

لا يوجد تصنيف محدد يمكن تقديمه عن خدمات جروب "جت في السوستة" للمجتمع؛ لأنها ببساطة تشمل أي شيء يحتاج إليه أي شخص على الجروب، مجرد أن يقدم طلبه، فإنه يجد الآلاف يستجيبون لما يريد، منها علي سبيل المثال:

١- توفير وظائف: يسعى الأفراد إلى توفير الوظائف في حالة الطلب، سواء داخل أو خارج مصر.

٢- الدعم: يأخذ الدعم أشكالاً مختلفة في الجروب، يأتي على قائمة أشكال الدعم المشاركة في حضور الفاعليات، فمثلاً أحد الأعضاء لديه فرح في مكان بعيد، ويحتاج إلى من يسانده، فإنّ العديد من الأشخاص يذهبون إليه ويشاركونه الفرحة.

٣- مساعدات مالية وخصومات: في حالة وجود أزمة مادية لدى أي شخص، مثلًا حالة مرضية عاجلة، فإنّ الأعضاء يجمعون المال اللازم لمساعدته. وفي بعض الأحيان فإنّ من يملك متجراً معيناً، فإنّه يقدم خصومات للأفراد من الجروب.

٤- حلول مشاكل: يقوم الشخص بطرح مشكلته، ثم يبدأ الناس مشاركته بالحلول المناسبة لها، سواءً بالدعم المعنوي أو المادي.

٥- تقديم استشارات ونصائح: كل من يعمل في وظيفة معينة، أو لديه مجموعة من الخبرات، فإنّه يقدم نصائح إلى من يريدها، أو يأخذ من الأشخاص أسئلتهم، ثم يجيبهم عنها في إطار خبرته.

على سبيل المثال: الشخص الذي يسافر إلى أماكن متعددة، فإنّه يقدم للناس نصائحه حول كيف يمكنهم السفر، والإجراءات وكيفية التعامل معها. والآن أصبحت هناك لجان "سوسجية" مهمتها الاعتناء بهذه الأقسام التي تحدثنا عنها، وحتى أنّ هناك تفكير في عمل كارنيه "جت في السوستة"، ليستخدمه الأعضاء أثناء تعاملهم في الحياة اليومية. أي أنّ ما يحدث في الجروب هو عبارة عن مجتمع متماسك فيما بين أفرادها، يقدمون سويًا مجموعة من الخدمات المتكاملة. الأمر الذي يدفعنا بالتأكيد إلى التفكير حول الأسباب وراء تكوّن هذا المجتمع من الرجال، والتفاعل الشديد رغم صغر الوقت نسبيًا، وأحيانًا صعوبة الطلبات المعروضة في الجروب. هذا ما سوف نتحدث عنه في الفقرة التالية.

ينفي الجروب السياسة بشكل كلي حتى أنّ قواعد التي وضعها المسئولين عن الجروب تنص على ذلك صراحة، وأيضًا على نفي الحديث في الكرة، يبدو الأمر وكأنّ هناك مجال عام بقواعد غير سياسية أو لا خلافية بالمرة.

يمكن تفسير هذا بالحالة العامة من الاحباط التي أصابت المجتمع المصري بسبب الظروف الاقتصادية، أو غيرها والتي حولت جروب بمثل هذه الضخامة بعيدا عن المجال العام السياسي بل يسعى لنفية بشكل كلي، أيضا هناك ملاحظة مهمة ومن الممكن أنّ أستدعي هنا مقولة بيندكت أندرسون عن الجماعات المتخيلة، وسحبها قليلا لوصف الهوية المتخيلة التي يمتلكها أعضاء الجروب، حيث يصفون أنفسهم بأنهم سوسجية، حتى أنّ الأمر تطور لأن يطالب البعض ببطاقة أشبه ببطاقة الهوية.

من الصعب الحكم على تلك الحالة بحالة إنسحاب للهوية الأكبر وهو كون هؤلاء مصريين
مثلاً، أو مسلمين لكن هناك هويات أصغر أو سرديات صغرى تنمو فى مخيلة أعضاء هذا
الجروب وهو حالة جديرة بالدراسة لكن ليس مقامها هنا والآن .

لكن وبصفة عامة يمكننا إستخدام مفهوم أندرسون عن الهوية المتخيلة بشكل ما هنا،
حيث توفر تلك المساحات والجروبات درجة من درجات الدعم والمشاركة بين الأعضاء
المختلفين

حالات أخرى

أيضا على الجانب الأخر من المعادلة الجندرية فى المجتمع المصري فإن هناك مجموعات كبيرة من لنساء يفضلن الآن الإنخراط فى المجال العام الغير سياسى على الفيسبوك ، ففى مقالتها " الطبقة الوسطى المصرية على وسائل التواصل الإجتماعى .. مسائل الجمال والصحة والجسد " تحلل الباحثة حبيبة محسن حالة النزوع لدى نساء الطبقة الوسطى المصرية نحو الجروبات التى تهتم بالصحة والجمال على الفيسبوك ، تدرس محسن ثلاث حالات بشكل أساسى فى مقالتها، وهى جروبات (the plant based diet ، hair addict) وصفحة (Cairo confessions) وتصل الباحثة فى النهاية لنتيجة مفادها أنه على الرغم من تعدد إهتمامات أبناء الطبقة الوسطى على الفيسبوك إلا أن الاتجاه العام والرابط المشترك بين الحالات التى درستها هى هى العناية بالذات بشكل مبالغ فيه ، عبر الاهتمام بمسائل الغذاء الصحى، والتجميل، وحتى تلقي الدعم فيما يخص العلاقات الاجتماعية والأسرية والجنسية . وكأنه بعد ٧ سنوات من التوتر والإحباط واستثمار الطاقة فى المجال العام قررت الطبقة الوسطى المصرية الاستثمار فى شيء بعيد عن السياسة بشكل كامل. لا تقتصر الممارسات الالكترونية غير المسيسة على هذا بل تتخطاها نحو ظهور التريندات التى تعبر عنها بشكل واضح صفحات " الكوميكس التى تستدعي " إفيهاث " قديمة من المسلسلات والافلام لتعبر عن إهتمامات أكثر شخصية عند شباب الطبقة الوسطى المصرية

الخاتمة

لا تزال مواقع التواصل الاجتماعي تثبت بما لا يدع للشك مدى تعقيد وتشابك علاقات الأفراد الذين يرتادونها، لا يمكن الجزم بالعلاقة المباشرة بين حالة تراجع المجال السياسي العام وحالة هروب الأشخاص لمزيد من الفضاءات غير المسيسة فئمة عوامل كثيرة تتداخل لتكون هذه الحالة العامة من الاحباط من السياسة نفسها، لكن ما حاولنا أن نرصده هو التحول الذي شهده المجال العام السياسي. يمكن القول بأن السياسة لم تعد أولوية كبيرة في نقاشات المصريين علي الفيسبوك، وتراجعت بشكل كبير حالة الناشطة السياسية علي الفيسبوك وبالتأكيد تراجعت إمكانات الحشد للفعل السياسي من خلال تلك المنصة بشكل كبير ، هذا التراجع يمكن رصده بسهولة إذا ما قارنا بين الفترات بين ٢٠١١ - ٢٠١٣ ، وما بعد ٢٠١٤.

في النهاية يجب التأكيد على الأهمية القصوى التي تلعبها وسائل التواصل الاجتماعي في تشكيل الرأي العام السياسي حتي لو تراجعت الأعداد فإنه يظل في النهاية منصة هامة لكل المهتمين بالسياسة في هذا البلد.

مراجع

1- Jorgen Habermas, The Structural Transformation of The Public Sphere: An Inquiry into a Category of Bourgeois Society, Translated by: Thomas Burger and Frederick Lawrence, 2nd edition, Cambridge: The MIT Press, 1989.

٢- هشام عطية عبد المقصود، دراسة لخطاب المدونات العربية: التعبيرات السياسية والاجتماعية لشبكة الإنترنت، ط١، القاهرة : العربي للنشر والتوزيع، ٢٠١٠.

3-JurgenGerhards& Mike S. Schäfer, Is the internet a better public sphere? Comparing old and new media in the USA and Germany, New Media & Society, Vol. 12, No. 1, January 2010,

4- Young Cheon Cho, The Politics of Suffering in The Public Sphere: The body in Pain, Empathy and Political spectacles, Ph.D. Dissertation, The University of Iowa, Iowa City, may 2009

٥- شيرين محمد كدواني، استخدام الشباب للشبكات الاجتماعية على الإنترنت وعلاقته بالتحول الديمقراطي في مصر، رسالة دكتوراه غير منشورة، قسم الإعلام، كلية الآداب، جامعة أسيوط، ٢٠١٥

٦- تشالز تايلر، المتغيرات الاجتماعية الحديثة، المركز العربي للأبحاث ، الدوحة ، ٢٠١٥

٧- حبيبة محسن، الطبقة الوسطى على الفيس بوك : مسائل الصحة والجسد والجمال، مجلة الديمقراطية، العدد ٧٠، أبريل ٢٠١٨.



فيس بوك بلا سياسة

التحول الهيكلي في المجال العام الافتراضي

حرية الرأي والتعبير

حرية الرأي والتعبير هي أحد أهم الحقوق الأساسية التي نصت عليها المواثيق الدولية والدساتير لبناء مجتمعات ديمقراطية متطورة قادرة على احترام مواطنيها ودعم التطور الفكري الإنساني لأفرادها، وبعد ثورة يناير ٢٠١١ صار الحديث عن أي انتقال ديمقراطي لا يصح بدون رصد ومناهضة سياسات القمع المنهجي والغير دستوري لحرية الرأي والتعبير، ومن هنا تم رصد برنامج خاص للتعبير الرقمي عن قضايا حرية الرأي والتعبير في مصر وتناولها وتوثيق الانتهاكات والدفع بعجلة احترام حرية الرأي والتعبير من خلال تشريعات وسياسات وممارسات أكثر ديمقراطية وانحيازاً لحقوق الإنسان.



HRDO
PDF
STUDIES
ONLINE

